شرح ستة مواضع من السيرة

الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله تعالى)

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى : تأمل – رحمك الله – ستة مواضع من السيرة ، وافهمها فهماً حسناً ، لعل الله ان يفهمك دين الانبياء لتتبعه ودين المشركين لتتركه ، فإن أكثر من يدعي الدين ويعد من الموحدين لا يفهم الستة كما ينبغي .

الأول [قصة نزول الوحي]

وفيها أن أول آية أرسله الله بها : { يأيها المدثر * قم فأنذر } إلى قوله : { ولربك فاصبر } . فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة يعرفون أنها من الظلم والعدوان ، مثل الزنا ، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون شيئاً من العبادة يتقربون بها إلى الله ، مثل الحج والعمرة والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك ، وأجلها عندهم الشرك ، فهو أجل ما يتقربون به إلى الله عندهم ، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا : { ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى } ، { ويقولون هؤلاء شفعؤنا عند الله } وقال تعالى : { إنهم اتخذوا الشيطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون } .

فأول ما أمره الله به الإنذار عنه ، قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما ، وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الأولياء من بني آدم ، ويقولون : (مانريد منهم إلا شفاعتهم !) ، ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسله الله بها . فإن أحكمت هذه المسألة فيا بشراك . . .

خصوصاً إذا عرفت أن ما بعدها أعظم من الصلوات الخمس ، ولم تفرض إلا في ليلة الإسراء – سنة عشر ، بعد حصار الشعب بسنتين ، وموت أبي طالب ، وبعد هجرة الحبشة بسنتين – فإذا عرفت أن تلك الأمور الكثيرة والعداوة البالغة . . . كل ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة ، رجوت أن تعرف المسألة .

الموضع الثاني

[أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك ، ويأمرهم بضده – وهو التوحيد – لم يكرهو ذلك واستحسنوه ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح بسب دينهم وتجهيل علماءهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة] : وقالوا : (سفه أحلامنا ، وعاب ديننا ، وشتم آلهتنا) ، ومعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لم يشتم عيسى وأمه ، ولا الملائكة ، ولا الصالحين ، لكن لما ذكر لهم أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضرون . . . جعلوا ذلك شتماً .

فإذا عرفت هذا ، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام – ولو وحد الله وترك الشرك – إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض ، كما قال تعالى : { لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله . . . الآية } .

فإذا فهمت هذا فهماً جيداً ، عرفت أن الكثير من الذين يدّعون الدين لا يعرفونها ، وإلا فما حمل المسلمين على الصّبر على ذلك العذاب والأسر والضرب والهجرة إلى الحبشة ؟ مع أنه صلى الله عليه وسلم أرحم الناس ، لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم ، كيف وقد أنزل الله تعالى : { ومن الناس من يقول ءامنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله } فإذا كانت هذه الآية في من وافقهم بلسانه ، فكيف بغير ذلك ؟!

الموضع الثالث [قصة قراءته سورة النجم ، بحضرتهم]

فلما بلغ : { أفرءيتم اللت والعزى } ألقى الشيطان في تلاوته : (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لترتجى) فظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالها ، ففرحوا بذلك ، وقالوا كلاماً – معناه – : (هذا الذي نريد ، ونحن نعرف أن الله هو الضار النافع وحده لا شريك له ، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده) . . . فلما بلغ السجدة ، سجد وسجدوا معه ، فشاع الخبر أنهم صافوه ، وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا ، فلما أنكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عادوا إلى شر مما كانوا عليه ، ولما قالوا له : (إنك قلت ذلك) خاف من الله خوفاً عظيماً ، حتى أنزل الله عليه : { وما أرسلنا من رسول من قبلك ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته } .

فمن فهم هذه القصة ، ثم شك بعدها في دين النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يفرق بينه وبين دين المشركين . . . فأبعده الله ، خصوصاً إن عرف أن قولهم : (تلك الغرانيق) الملائكة .

الموضع الرابع [قصة أبي طالب]

فمن فهمها فهماً حسناً ، وتأمل إقراره بالتوحيد وحث الناس عليه وتسفيه عقول المشركين ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك ، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن مات ، ثم صبره على المشقّة العظيمة والعداوة البالغة ، لكن لما لم يدخل فيه ، ولم يتبرأ من دينه الأول ، لم يصر مسلماً ، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم .

ثم مع قرابته ونصرته ، استغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانزل الله تعالى عليه : { ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحب الجحيم } .

والذي يبين هذا أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء بحب الدين وبحب المسلمين ، مع أنه لم ينصر الدين بيده ولا ماله ، ولا له من الأعذار ما لأبي طالب ، وفهم الواقع من أكثر من يدّعي الدين ، تبين الهدى من الضلال ، وعرف سوء الأفهام ، والله المستعان .

الموضع الخامس [قصة الهجرة]

وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها ، ولكن مرادنا الآن مسألة من مسائلها ، وهي أن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يهاجر – من غير شك في الدين وتزيين دين المشركين ، ولكن محبته للأهل والمال والوطن – فلما خرجوا إلى بدر ، خرجوا مع المشركين كارهين ، فقتل بعضهم بالرمي – والرامي لا يعرفه – فلما سمع الصحابة أن من القتلى فلاناً وفلاناً شق عليهم ، وقالوا : (قتلنا إخواننا) فأنزل الله تعالى : { إن الذيم توفهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً * إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدن لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً . . . الآيات } .

فمن تأمل قصتهم ، وتأمل قول الصحابة : (قتلنا إخواننا) أنه لو بلغهم عنهم كلام في الدين ، أو كلام في تزيين دين المشركين ، لم يقولوا : (قتلنا إخواننا) فإن الله تعالى قد بين لهم – وهم في مكة ، قبل الهجرة – أن ذلك كفر بعد الإيمان بقوله : { من كفر بالله بعد إيمنه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمن } .

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله تعالى فيهم ، فإن الملائكة تقول : { فيم كنتم } ولم يقولوا : (كذبتم) مثل ما يقول الله والملائكة للمجاهد الذي يقول : (جاهدت في سبيلك حتى قتلت) فيقول الله : (كذبت ، بل قاتلت ليقال : جريء) وكذلك يقولون للعلم والمتصدق : (كذبت ، بل تعلمت ليقال : عالم ، وتصدقت ليقال : جواد) . . . وأما هؤلاء فلم يكذبوهم ، بل أجابوهم بقولهم : { ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها } .

ويزيد من ذلك إيضاحاً للعارف والجاهل ، الآية التي بعدها ، وهي قوله تعالى : { إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدن لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً } فهذا أوضح جداً أن هؤلاء خرجوا من الوعيد ، فلم يبق شبهة ، لكن لمن طلب العلم بخلاف من لم يطلبه ، بل قال الله فيهم : { صم بكم عمي فهم لا يرجعون . . . الآية } .

ومن فهم كلام الحسن البصري ، قال : (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتّمنّي ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقته الأعمال ، وذلك ان الله تعالى يقول : { إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه }) .

الموضع السادس [قصة الردة ، بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم]

فمن سمعها لا يبقى في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يسمون " العلماء " وهي قولهم : (هذا هو الشرك ، لكن يقولون : لا إله إلا الله ، ومن قالها لا يكفر بشيء !) واعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة ، ولكن يقولون : لا إله إلا الله ، وهم بهذه اللفظة أهل إسلام ، وحرم الإسلام مالهم ودمهم ، مع إقرارهم بأنهم تركوا الإسلام كله ، ومع علمهم بإنكارهم البعث واستهزائهم بمن أقرّ به ، واستهزائهم وتفضيلهم دين آباءهم المخالف لدين النبي صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا كله يصرخ هؤلاء الشياطين المردة الجهلة : (أن البدو أسلموا ، ولو جرى ذلك كله ، لأنهم

يقولون : أن لا إله إلا الله) ، ولازم قولهم أن اليهود أسلموا لأنهم يقولونها ، وأيضاً كفر هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة – أعني البوادي المتصفين بما ذكرنا – والذي يبين ذلك من قصة الرِدّة ، أن المرتدين افترقوا في ردّتهم ، فمنهم من كذّب النبي صلى الله عليه وسلم ورجعوا إلى عبادة الاوثان ، وقالوا : (لو كان نبياً ما مات !) ، ومنم من ثبت على الشهادتين ، ولكن أقرّ بنبوّة مسيلمة ، ظناً أن النبي صلى الله عليه وسلم أشركه في النبوة ، لأن مسيلمة أقام شهود زور ، شهدوا له بذلك ، فصدقهم كثير من الناس ، ومع ذلك أجمع العلماء أنهم مرتدّون – ولو جهلوا ذلك – ومن شكّ في ردّتهم فهو كافر .

فإذا عرفت أن العلماء اجمعوا أن الذين كذبوا ورجعوا إلى عبادة الأوثان وشتموا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم ومن اقرّ بنبوّة مسيلمة في حال واحدة ، ولو ثبت على الإسلام كله .

ومنهم من أقرّ بالشهادتين ، وصدق طليحة بن خويلد الأسدي في دعواه النبوّة ، ومنهم من صدق عيهلة بن كعب الأسود العنسي – صاحب صنعاء – وكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء .

ومنهم من كذب النبي صلى الله عليه وسلم ورجع إلى عبادة الأوثان على حال واحدة ، ومنهم نوع أخر ، آخرهم الفجاءة السّلمي لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتال المرتدين ويطلب من أبي بكر أن يمدّه ، فأعطاه سلاحاً ورواحل ، فاستعرض السّلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم ، فجهز أبو بكر جيشاً لقتاله ، فلما أحسّ بالجيش ، قال لأميرهم : (أنت أمير أبي بكر ، وأنا أميره ، ولم أكفر) قال الأمير : (إن كنت صادقاً فألق السّلاح) فألقاه ، فبعث به إلى أبي بكر ، فأمر بتحريقه بالنار وهو حي . . .

فإذا كان هذا هو حكم الصحابة في هذا الرجل ، مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة ، فما ظنك بمن لم يقر من الإسلام إلا بكلمة واحدة ، إلا أن يقول: (لا إله إلا الله) بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها ، وتصريحه بالبراءة من دين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن كتاب الله تعالى ؟! ويقولون هذا دين الحضر ودين آبائنا ، ثم يفتون هؤلاء المردة الجهال : (أن هؤلاء مسلمون ! ولو صرحوا بذلك كله ، إذا قالوا : لا إله إلا الله !) سبحانك هذا بهتان عظيم .

وما أحسن ما قال واحد من البوادي ، لما قدم علينا وسمع شيئاً من الإسلام ، قال : (أشهد أننا كفار – يعني هو وجميع البوادي – واشهد أن المطوع الذي يسمينا أهل الإسلام أنه كافر !) .

تم والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.